

موقف الحوزة الدينية من الغزوات الوهابية

د. عبدالعال وحيد العيساوي

حينما كان العراق منشغلاً في مفاوضاته مع الجانب البريطاني لإنهاء الانتداب، شن الوهابيون هجومهم على العشائر العراقية في منطقة أبي غار بقيادة فيصل الدويش في ١١ آذار ١٩٢٢، وقد تكبدت العشائر فيها خسائر كبيرة بالأرواح والممتلكات^(١) كما هاجموا بعدها عشائر السماوة ولمرات عدة^(٢).

أحدثت هذه الغزوات قلقاً شديداً لدى أبناء العشائر العراقية ولاسيما في مناطق الوسطى والجنوبية، التي جعلتهم يعتقدون أنها مقدمة لمهاجمة العتبات المقدسة في مدينتي النجف وكربلاء، ومما زاد في موجة الرعب والقلق بين الناس الأخبار التي أشارت إلى قوة الوهابيين وشدة ميلهم للنهب والقتل^(٣).

وكان الأسوأ عندما أدرك الناس عجز الحكومة العراقية عن حمايتهم، وهذا ما دفع الحكومة إلى تشكيل لجنة تحقيقية تألفت من نوري السعيد ممثلاً عن وزارة الداخلية وداود الحيدري عن وزارة العدلية والرئيس الأول الحاج رمضان عن وزارة الدفاع ومستشار لواء المنتفق الميجر بتس Bets، وقد حملت اللجنة الحكومة العراقية مسؤولية ما حصل لتجاهلها ما أفاد به متصرف اللواء عن قرب وقوع الغزو^(٤).



وإزاء موقف الحكومة الضعيف وموجة القلق الشعبي، أخذ رجال الدين في النجف ورؤساء العشائر زمام المبادرة، وعقدت العديد من اللقاءات والاجتماعات مع قادة الرأي وزعماء الحركة الوطنية في النجف، وقد تمخض عن هذه اللقاءات التحرك باتجاه الجماهير لتهيئة مستلزمات الدفاع عن العراق ومواجهة الاعتداءات الوهابية بعد أن عكس موقف الحكومة العراقية عدم الجدوية واتخاذها الإجراءات التقليدية التي لا ترقى إلى مستوى الحدث وخطورته، وقد اتخذ رجال الدين من مناسبة قرب زيارة منتصف شعبان التي يحضر فيها عادة الزوار من مختلف مناطق العراق للاحتفال بمولد الإمام المهدي المنتظر (عج) - موعداً لعقد الاجتماع من ٨-١٣ نيسان ١٩٢٢، الذي سيكون بمثابة مؤتمر يحضره كبار رجال الدين وسادات العشائر ورؤسائها وعامة الناس، فضلاً عن دعوة الملك فيصل لحضور المؤتمر ورعايته^(٥).

ويذكر علي الوردي أن الملك فيصل كان راغباً بالتوجه إلى كربلاء في ١٢ نيسان، بعد أن وجهت إليه الدعوة من الشيخ محمد مهدي الخالصي، إلا أنه اعتذر عن الحضور تحت ضغط المندوب السامي^(٦) وقد أرسل الملك فيصل مدير الشرطة العام نوري السعيد لحضور المؤتمر ورعايته والعمل على حصر المؤتمرين على تأييد الملك وسياسته الرامية إلى تخفيف الاعتماد على البريطانيين والمطالبة بإنهاء الانتداب البريطاني على العراق^(٧)، ويبدو أن الملك فيصل حاول استئثار المناسبة في كربلاء لحصوله على الدعم الشعبي في مطالبه بإنهاء الانتداب.

أخذت الخطوات تتسارع لانعقاد المؤتمر في كربلاء حينما أرسل السيد أبو الحسن الأصفهاني والميرزا محمد حسين النابيني برقية إلى الشيخ محمد مهدي الخالصي في الكاظمية جاء فيها: (... لا ينبغي الاتكال على وعد السلطة البريطانية في دفع شر الخوارج الوهابيين عن المسلمين فعليه نأمل حضوركم إلى كربلاء قبل الزيارة بأيام

وتأمرون رؤساء العشائر كالسيد نور وأمير ربيعه وسائر الرؤساء بعد إبلاغهم سلامنا بالحضور كما أننا نحضر مع من في طرفنا من الرؤساء لأجل المذاكرة في شأنهم إن شاء الله^(٨).

واستناداً إلى ذلك هيأ الخالصي في الحادي من نيسان مائة وخمسين برقية إلى رؤساء العشائر يدعوهم فيها إلى حضور المؤتمر في الثامن من نيسان بما نصه: (بمناسبة تجاوز الوهابيين على حدود العراق تقرر أن يحضر العلماء وجميع رؤساء القبائل في اليوم العاشر من شعبان العظيم فيلزم حضوركم في الموعد المذكور إلى كربلاء)^(٩).

اهتمت الحكومة العراقية بهذا الحدث وعملت على إحباطه فأوعزت إلى دائرة البرق بعدم إرسال هذه البرقيات، وحينما علم الخالصي بالإجراء الحكومي أرسل رسله إلى مختلف المناطق وهم يحملون مضمون البرقية، فتراجعت السلطة الرسمية وسمحت بإبراق البرقيات الموقوفة لديها، وأخذت استعداداتها للموقف حيث عززت قواتها في كربلاء^(١٠)، بإرسالها فوج موسى الكاظم (ع) مع (١٠٠) جندي من الخيالة بقيادة محي الدين أفندي السهروردي، كما أرسلت إلى قضاء النجف رهطاً من المشاة و١٠٠ جندي من الخيالة بحجة تهدئة الأهالي وتأمينهم من الاضطرابات المقلقة التي أصابتهم من أخبار اعتداءات الوهابيين^(١١).

وقد أرسلت وزارة الداخلية تعليماتها المحددة إلى متصرف لواء كربلاء والحلة عكست حرصها على الأمن والاستقرار، فضلاً عن قلقها الشديد من حدوث الاضطرابات، حيث أكدت على منع إدخال السلاح إلى المدن والاجتماعات والمظاهرات في الشوارع والساحات العامة، على أن يأخذ إذناً من أكبر مأمور حكومي في المدينة في حال عقد اجتماع مع اتباع أحكام قانون الاجتماعات في ذلك^(١٢)، ولم تكتفِ الحكومة بهذه الإجراءات بل أرسلت وزير الداخلية توفيق الخالدي لحضور المؤتمر والوقوف على مجرياته تفصيلاً.

وفي الكاظمية تألفت لجنة للإشراف على المؤتمر وتنظيم أعماله بإيعاز من الشيخ مهدي الخالصي، وكان أعضاؤها السيد نور الياسري والسيد علوان الياسري والسيد كاظم العوادي والشيخ محمد باقر الشبيبي وعبد الحسين الجلبي، وعقدت اللجنة اجتماعاً وضعت خلاله منهاجاً من (١٣) مادة كان أهمها ماجاء بالمادة الأولى التي ركزت على المذاكرة في شأن إعتداءات الوهابيين على حدود العراق واتخاذ التدابير لحفظ البلاد وعتباته المقدسة، والثانية، تأييد سياسة الملك فيصل بناءً على ما هو معهود من آراء الأمة العراقية وأفكارها، والعاشر، تعيين مكان الاجتماع في دار المرحوم حجة الإسلام آية الله الشيرازي في كربلاء، وبعد الاجتماع الأول الذي تناول موضوع الغاية من الاجتماع، قرر العلماء والزعماء والرؤساء اتخاذ الإجراءات الكفيلة المناطة بأهداف الاجتماع^(١٣).

وقد وصل النجف من الكاظمية كل من الشيخ محمد الخالصي وعبد الحسين الجلبي وأبو طالب الأصفهاني، وبعد اتصاهم بالسيد أبو الحسن الأصفهاني والمرزا محمد حسين الناييني غادروا النجف إلى كربلاء باستثناء المرزا محمد حسين الناييني الذي امتنع عن السفر^(١٤)، وكان عدد من رجال الدين وأصحاب الرأي قد اشتركوا في التحضير للمؤتمر كالسيد أبي الحسن الأصفهاني والسيد محمد علي بحر العلوم والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي والشيخ محمد باقر الشبيبي وغيرهم، فضلاً عن سادات ورؤساء العشائر، كما شاركت وفود من بغداد يتقدمهم عبد الوهاب النائب وإبراهيم الراوي وأحمد الشيخ داود وعبد الجليل الجميل ومن الكاظمية برئاسة الشيخ مهدي الخالصي ومن الموصل برئاسة مولود مخلص ومعه سعيد الحاج ثابت وأيوب عبد الله وثابت عبد النور وعجيل الياور ومحمد أغا، وقد حول أهالي تكريت والشرقاط مولود مخلص بتمثيلهم في المؤتمر^(١٥)، ومن العمارة برئاسة الشيخ فالح الصيهدود ومحمد علي العريبي ومجيد الخليفة وعثمان اليسر وشوأي الفهد ومحمد الخطاب^(١٦)، وشاركت وفود من

الناصرية والسماوة والحلة وسامراء وبعقوبة^(١٧)، فضلاً عن سادات ورؤساء العشائر العراقية وأبناء المدن ورجالات الحركة الوطنية وقدر عدد الحاضرين في كربلاء بما يقارب (٢٠٠٠٠٠) نسمة^(١٨).

وفي ٩ نيسان ١٩٢٢، تم افتتاح المؤتمر بالمؤتمر باجتماع تمهيدي حضره وزير الداخلية توفيق الخالدي^(١٩)، وقد تناول المجتمعون موضوع الميثاق الوطني الذي سيتمخض عنه المؤتمر^(٢٠)، حيث استمرت الاجتماعات حتى صباح يوم ١٣ نيسان ١٩٢٢، في دار الشيرازي، حضره جميع العلماء وسادات العشائر ورؤساؤها، وكان عددهم يقارب الـ (٢٠٠٠) شخص، تلا عليهم جعفر أبو التمن مقررات المؤتمر التي اتفق الجميع عليها وتمت مصادقتها من قبل الجميع، ثم تليت برقية الملك فيصل التي شكرهم فيها على جهودهم ومسعاهم في جمع كلمة العراقيين واتحادهم^(٢١)، بعدها نظمت المضابط الخاصة بالمقررات، وقد نظم ١٤ مضبطة وكانت بنسختين حملت توابع المؤتمرين، وهي متشابهة في مضمونها تقريباً^(٢٢)، إذ أرسلت نسخة منها إلى الملك فيصل وأودعت الثانية لدى العلماء، وقد جاء في المضبطة التي حملت توابع المشاركين في المؤتمر، (نحن الموقعون أدناه سادات وزعماء وأشرف مدن العراق أصالة عن أنفسنا ونيابة عن ممثلينا تلبية لدعوة حجيج الإسلام دامت بركاتهم الذين يمثلوننا والرأي العام الإسلامي قد حضرنا الاجتماعات المبتدئة من عشرة شعبان والمنتهية بالخامس عشر منه من سنة ألف وثلثائة وأربعين وبناء على ما أوقعه الخوارج الوهابيين بإخواننا المسلمين من الأعمال الوحشية من القتل والسلب والنهب، فقد اتفقت كلمتنا بحيث لم يتخلف من بيننا أحد في كل ما تقتضيه مصلحة بلادنا عامة وحفظ المشاهد المقدسة وقبور الأولياء خاصة وسلامتها من جميع طوارئ العدوان وعلى الأخص عادية الوهابيين وقررنا معاونة القبائل بكل ما في وسعنا واستطاعتنا مدافعة الخوارج الوهابيين ومقاتلتهم العائد أمر تديرها لإدارة صاحب الجلالة الملك فيصل الأول الساهر على حفظ استقلال بلادنا وبناءً على تعلقنا بعرش السدة الملكية

فإننا نطلب من جلالته إسعاف مطلوب الأمة في أمر القتل والمنهوبات التي أوقعها الخوارج الوهابيين حسب القوانين المرعية)، وكان من جملة الموقعين عليها، السيد أبو الحسن الكاظمي، كاظم السيد علي، عبد الرزاق شمسه، هادي النقيب، الحاج حسون شربه، سيد عباس الكلیدار، السيد مهدي السيد سلمان، عبد المحسن شلاش، جعفر أبو التمن، هادي جوده النجفي، عبد الرسول جودة تويج وغيرهم^(٢٣).

موقف الحوزة من أحداث المدينة المنورة وهدم قبورها:

بعد أن وردت أخبار هدم قبور أئمة البقيع (ع) وغيرهم في المدينة المنورة من قبل اتباع عبد العزيز ال سعود الوهابيين، إلى أهالي الكاظمية اجتمع عدد من العلماء كان من ضمنهم السيد حسن الصدر والسيد محمد الصدر في الصحن الشريف في الكاظمية يوم الخميس مساء ٢٠ مايس ١٩٢٦ وقد تليت الرسائل^(٢٤) الواردة من سوريا حول هذا الحادث، فبادروا بإجراء احتجاج عليه بوساطة حكومتي أفغانستان وإيران، وأرسلت برقيات إلى النجف وكربلاء، وقد استمر الاجتماع من الساعة السابعة إلى الثامنة مساءً^(٢٥)، كما ورد كتاب من الحاج يوسف بيضون في العام نفسه من بيروت حول هدم القبور، وسلم عبد الهادي بن عبد الغني الشماع الكظماوي كتاباً إلى كليدار الكاظمية الشيخ علي بتوقيع (جمعية منتدى الأخلاق) لتشكيل جمعية بهذا الاسم، وطلبوا منه تخصيص مكان لهم وأثاث في الصحن الشريف لإقامتها، وقد استدعى قائممقام الكاظمية عبد الهادي بن عبد الغني وأنذره بعدم إقامة الجمعية مالم تحصل على الموافقات الرسمية^(٢٦)، وفي ٢٢ مايس حضر العديد من أهالي الكاظمية في الصحن الشريف وقرأ دعاء من قبل سيد سعيد البحراني وسيد محمد الغاري لهذه المناسبة المؤلمة^(٢٧).

وفي الوقت نفسه وصل إلى النجف الأشرف الحاج مهدي الأزري والشيخ عبد الرضا والتقيا مع علمائها، وأخذت المعلومات تتناقل عن هدم المراقد في البقيع ومنع

الزائرين عنها^(٢٨)، وقد صدر نداء من علماء النجف الأشرف خلال شهر مايس من العام نفسه، جاء فيه :

«من الواضح أن القوانين الإسلامية والواجبات الدينية يقضيان على العلماء بإرشاد الأمة ... الفرقة الضالة الوهابية التي تلبست بلباس الدين وهي عارية منه وادّعت الإسلام وهي مارقة عنه هتكها حرمت الدين واستباحتها دماء المسلمين... فيا أهل العراق... ما هذا السكوت بعد علو الصوت... وما هذا التفرق بعد الاجتماع وما هذا التخاذل بعد التعاون... ندعوكم إلى الإتفاق... والتعااض وضم صوتكم مع أصوات إخوانكم المسلمين في جميع الأقطار وتوحيد حركاتكم لدفع هذه الطامة الكبرى...»^(٢٩).

ويبدو أن احداث المدينة المنورة هزت عواطف علماء ورجال الدين كما هزت عواطف ابناء العشائر والقوى السياسية العراقية.

وفي جامع الخالدية في بغداد، القى المفتي يوسف عطا خطابه في الساعة الرابعة بعد أداء صلاة العصر حول فضائح الوهابيين في الأماكن المقدسة وتخريبهم للقبور المقدسة، وكان الحاضرون يسمعون به بكل شوق وحماس، ونتيجة لما سمعوا قرروا تكليف الشيخ أحمد أفندي آل شيخ داود وسيد محمود النقيب لتقديم الاحتجاجات إلى إخوانهم المسلمين في الهند ومصر وسوريا وإيران، وفي هذا السياق، أفاد مدير شرطة العباخانه في تقريره، أنه حضر حسبما وصلت إليه أوامر من جامع الخالدية في الساعة الثالثة بالملابس الرسمية فقد (نظري البعض منهم بنظر الاستحقاق واعتراض الشيخ وبعض العلماء على حضوري... فاسكتهم بلسان مناسب)^(٣٠)، وكانت احتجاجات رجال الدين ورؤساء العشائر وحشد الرأي العام العراقي واثارته على ما قام به الوهابيون في المدن الاسلامية بالعراق والحجاز انعكاسه على مناقشات اعمال مجلسي الامه العراقي.

* هوامش البحث *

- (١) للتفاصيل ينظر : عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ، ط٧ ، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢)؛ ج١ ، ص ٨١.
- (٢) عبد الأمير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١-١٩٣٣، (النجف : مطبعة الآداب، ١٩٧٥)، ص ١٠١.
- (٣) علي الورد، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (بغداد: ١٩٧٤)؛ ج٧، ص ١٣٢.
- (٤) عبد الرزاق الحسني، الوزارات، ص ٨٢.
- (٥) كان هدف المؤتمرين من حضور الملك فيصل تقديم إنذار باسمه الى الحكومة البريطانية بإنهاء الانتداب ومنح العراق إستقلاله التام، وفي حال عدم تحقيق مطالبهم، سيعلنون الحرب ويظهر الملك فيصل وكأنه قائدهم، وهي عملية إستدراج حسبها جاء في رسالة المعتمد السامي برسي كوكس الى رئيس الديوان الملكي رستم حيدر؛ للتفاصيل ينظر : الشيخ محمد مهدي الخالسي، في سبيل الله، مذكرات شخصيه محفوظه لدى ولده الشيخ مهدي الخالسي ورقه (٣٧٦)، أقتباساً عن رجاء حسين الخطاب، العراق بين ١٩٢١-١٩٢٧، دراسته في تطور العلاقات العراقية البريطانية وأثرها في تطور العراق السياسي مع دراسة الرأي العراقي، (بغداد : دار الحرية للطباعه، ١٩٧٦)، ص ٢٨٠-٢٨١.
- (٦) علي الورد، المصدر السابق، ج٧، ص ٩٤.
- (٧) عبد الرزاق الحسني، الوزارات، ص ٩٤.
- (٨) محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، (بغداد: مطبعة الفلاح، ١٩٢٤)، ص ٣٩١-٣٩٢.
- (٩) عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الإحتلال والانتداب، (صيدا : مطبعة العرفان، ١٩٣٨)، ج١، ص ٢٣٨.
- (١٠) عبد الرزاق الحسني، الوزارات، ص ٩٣.
- (١١) د.ك.و، البلاط الملكي، التقرير الشهري للواء كربلاء، للفترة من ١٦ آذار-١٦ نيسان ١٩٢٢) الموجه الى وزارة الداخلية، في ١٨ نيسان ١٩٢٢، المرقم ٢٥٨٤.

- (١٢) و.د.ع.م. كتاب وزارة الداخلية الى متصرفية لواء الحلة ومتصرفية لواء كربلاء، في ٦ نيسان ١٩٢٢، المرقم ٥٢٨٧، ص ٩٦.
- (١٣) الشيخ محمد مهدي الخالصي، المصدر السابق (منهاج السفر الى كربلاء المشرفة)، إقتباساً من رجاء حسين الخطاب، المصدر السابق، ٣٥٦، ٣٥٨.
- (١٤) علي الوردى، المصدر السابق، ج٧، ص ١٤٢، ١٤٣.
- (١٥) محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربي الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٩)، ص ١٩٨، ٢٠٢.
- (١٦) المفيد، (جريدة)، بغداد، العدد (٣)، ١٤ نيسان ١٩٢٢.
- (١٧) المصدر نفسه.
- (١٨) د.ك.و، البلاط الملكي، التقرير الشهري للواء كربلاء للفترة من (١٦ آذار - ١٦ نيسان ١٩٢٢)، الموجه الى وزارة الداخلية، في ١٨ نيسان ١٩٢٢، المرقم ٢٥٨٤.
- (١٩) العراق، جريدة، العدد (٥٨٠)، ١٥ نيسان ١٩٢٢.
- (٢٠) المفيد، (جريدة)، بغداد، العدد (٤)، ١٥ نيسان ١٩٢٢.
- (٢١) المصدر نفسه.
- (٢٢) د.ك.و، البلاط الملكي، غزوات الإخوان، ملف رقم (٨٧١)، وتحتوي على ١٤ مضبطة التي وقعها المؤتمرون في كربلاء.
- (٢٣) د.ك.و، البلاط الملكي، غزوات الإخوان، ملف رقم ٨٧١، و١، ص ١.
- (٢٤) تليت الرسائل على الحاضرين من قبل السيد جبوب والسيد محمد شديد الروزخوني الكربلائي والسيد محمد حسن الروزخوني الكربلائي و.د.ع.م، كتاب مدير شرطة بغداد الى وزارة الداخلية في ٢٣ مايس ١٩٢٦ المرقم ١٤١، ص ١.
- (٢٥) المصدر نفسه.
- (٢٦) و.د.ع.م. كتاب مأمور مركز شرطة الكاظمية الى معاون مدير شرطة الكرخ في ٤ مايس ١٩٢٦، المرقم ١٧٣٤، التقرير السري، ص ١٨.
- (٢٧) و.د.ع.م. كتاب قائممقام قضاء الكاظمية الى مدير الشرطة في ٢٣، مايس ١٩٢٦، المرقم ٢٤، ص ١٣.

(٢٨) و.د.ع. م. كتاب قائم مقام النجف الى متصرف لواء كربلاء في ٢٣ مايس ١٩٢٦، المرقم ١٥٢١، ص ٢٣.

(٢٩) للاطلاع على نص البيان ينظر ملحق رقم (١٢).

(٣٠) و.د.ع. م. تقرير سري مدير شرطة العباخانه الى مدير شرطة لواء بغداد في ٣٠ مايس ١٩٢٦ المرقم ٤١٣٦، ص ٢٦.

